

قراءة في كتاب اللغة العربية للسنة الثالثة متوسط

نموذجا

د. محمد عبد العزيز

جامعة وهران 1

1. مقدمة :

يعتبر الكتاب المدرسي كأحد أقدم و أهم الوسائل التعليمية - التعليمية بحق واجهة المدرسة على المجتمع و أداة التواصل معه . و هو اليوم يشهد و في أغلب المجتمعات الحديثة تطورا ملحوظا ، و هذا على مستويات : الشكل ، المحتوى و الكيفية (démarche) المقترحة ... يرتبط الكتاب المدرسي ارتباطا عضويا بالمنهاج (01) التعليمي بما يتضمن من أهداف و توجيهات مصاحبة له و المقاربة التعليمية التي بني عليها . و تعد المقاربة بالكفاءة (02) المعتمدة من العديد من المنظومات التربوية بما فيها الجزائر في بناء المناهج الحالية و في جميع أطوار التعليم المقاربة الأكثر تطورا حاليا و المبنية على الإتجاه المعرفي (constructivisme) ، حيث الفرد من منظوره إيجابي و نشط و يبني معرفته . و أن التعلم هو تغيير في البنية المعرفية و لبس ترصيف معارف " هذا التصور يؤثر اليوم بقوة في تصور و استعمال الكتاب المدرسي من جهة ، إذ يجب أن تسمح الكتب المدرسية باكتساب موارد، من معارف و حسن تصرف أساسا، و لكن يجب من جهة أخرى أيضا تمكين تجنيد و إدماج هذه الموارد بمواجهتها مع وضعيات حقيقية ، سواء أكان ذلك في وضعية- مشكل (03) خاصة بمادة أو وضعية اتصال .." روجيرز (Roegiers, 2000) . ترتكز المقاربة بالكفاءات على فكرة إدماج معارف و مهارات المواد التعليمية المتعلمة في كل واحد مترابط ، الأمر الذي يستدعي إلغاء الحواجز بين مختلف وحدات منهاج المادة الواحدة ، و بين مناهج المواد المختلفة و التنسيق فيما بينها على مستوى أهداف تلتقي لتجسيد كفاءة أو كفاءات مدججة معينة . الأمر ليس بالهين ، و هذا بالنظر إلى التباين الموجود بين المواد المختلفة من حيث طبيعة مفاهيمها و هيكلتها الداخلية و انغلاق المعلمين داخل مادتهم " المعلمون مهتمون كل واحد داخل مادته ، لا يقدرون بأن الكتاب ، بمحتوياته و تصوره يمكن تسهيل دراسة مواضيع عرضية (transversaux) (04) " ل. لافورق و مارك لبريز ..L.Lafforgue et Marc Le Bris

يقوم الكتاب بعدة وظائف تحدد من طرف مستعمليه، المادة و السياق الذي تندرج فيه نشاطات التعليم / التعلم .

و حسب فرنسواه ماري جيرار و أكسافييه روجرز (1993) ، (x) Rogiers (F) Gérard (05)

تتمثل وظائف الكتاب المدرسي في وظائف متعلقة بالمعلم و أخرى متعلقة بالتلميذ :

أ - الوظائف المتعلقة بالمعلم : هي وظائف تعليمية تتمثل أساسا في :

أ. 1. إعلام علمي و عام : تقدم الكتب المدرسية للمعلمين معارف ضرورية و تسهل تسيير البحوث التكميلية في مختلف الميادين .

أ.2. التكوين البيداغوجي المرتبطة بالمادة : تسمح الكتب المدرسية من خلال أنشطة مقترحة و محاضرة مسبقا من نمذجة مساعي التعلم .

أ.3. دعم للتعليمات و تسيير الدروس : يمكن أن يمنح الكتاب المدرسي عدة أدوات لوضع حيز العمل تعليمات.

أ.4. مساعدة لتقويم المكتسبات : تندرج الأدوات من زاوية تقويم المكتسبات القبلية، التقويم التكويني و التقويم التحصيلي .

من التعاريف التي تبرز الوظيفة التعليمية للكتاب المدرسي نجد تعريف لوفريدج (06) " بأنه كتاب للإستعمال داخل القسم تعرض فيه بصورة منهجية و بهدف تمثلها من طرف التلميذ عدد من العناصر المتعلقة بمادة ما ، بشكل مكتوب متوافق مع وضعية بيداغوجية محددة " كما يعرفه فرنسوا ماري جرار و اكسافييه روجرز " يمكن تعريف الكتاب المدرسي كأداة مطبوعة مهيكلية بقصد لسيرورة تعلم بغرض تحسين الفعالية "

ب. الوظائف المتعلقة بالتلميذ : الكتاب المدرسي موجه أساسا للتلميذ لتسهيل تعلماته في مادة معينة و تشمل وظائفه التعليمية في :

ب.1. توصيل المعلومات : تتمثل في معطيات خاصة ، أحداث ، مفاهيم ، قواعد ، صيغ ، اتفاقيات ، مصطلحات

ب.2. تنمية القدرات و الكفاءات : بينما يركز في اكتساب معارف على موضوع التعلم ، يركز في اكتساب قدرات و كفاءات على النشاط، حيث يدفع التلميذ لممارسته على عدة مواضيع تعلم و هذا لضمان تحويل (transférabilité) كفاءات و قدرات. عموما ، فإن وظيفة تطوير قدرات و كفاءات تنظم حول استغلال الصنفات (taxonomies)

ب.3. دعم و دمج المكتسبات: هي وظيفة التطبيق ، التمارين و الأنشطة التي تمكن من ترابط قدرات و كفاءات من خلال عدة مواد و نشاطات . تتحقق هذه الوظيفة انطلاقا من وضع حيز التطبيق مختلف أشكال التقويم .

إن التعلم بمختلف أشكاله ليس ميكانيكيا بسيطا و ترصيفا لمعلومات يتم تخزينها . لكنه سيرورة بناء مفهومي بطيئة و تدريجية. و لتحقيق ذلك هو في حاجة إلى النص كسند ، للإستبطان . بهذا ، فإن الكتب المدرسية هي أساسية لتعلم التلاميذ . زيادة على ما سبق و بالنظر إلى صيغته المكتوبة و ميزته الخاصة بإمكانية استعماله في الدرس و خارجه يسمح الكتاب المدرسي التلميذ بتعويض النقائص المتعلقة في استيعاب مفاهيم الدروس و تدوينها .

ليقوم الكتاب المدرسي بالوظائف المنوطة به ، يستوجب احترامه لمجموعة من الشروط و التي نخص بالذكر منها :

مؤسسية : يستوجب أن يخضع الكتاب على الخصوص للمنهاج الدراسي الرسمي الصادر من طرف الوزارة الوصية . و هذا بما يتضمن من أهداف ، محتويات ، طرق و وسائل ، كفايات التقويم و توجيهات .

سيكولوجية : من الأبعاد التي يراعيها مؤلفوا الكتب المدرسية عند التأليف هي الخصائص السيكولوجية لجمهور التلاميذ الموجه إليهم الكتاب المرتبطة بمرحلة نموهم . تشمل هذه الخصائص مختلف جوانب شخصيتهم من حسية حركية ، عقلية و وجدانية. و في ظل التحولات المختلفة التي تشهدها المجتمعات و تطور وسائل الإعلام و الإتصال برزت حاجيات و اهتمامات جديدة لدى التلاميذ تستوجب من الكتاب المدرسي مراعاتها . و بالنظر إلى الفروق الفردية بين التلاميذ المضخمة بعوامل إجتماعية ، فإن

الكتاب المدرسي لا يمكنه أن يناسب كل التلاميذ . يشير فرانيخون رفائيل (07) " إنه بالنظر إلى الالتهائن الكبير للأقسام ، فإن للكتاب المدرسي وظيفة تجمع و انسجام مختلف الكيفيات المعرفية و السلوكية. هو خط ربط رائع يربط بين الأطفال فيما بينهم ، المعلم مع التلميذ و المعلمون مع العائلات الذين لهم إمكانية التهاور بأكثر سهولة بمنظور مساهمة جدية و دائمة "

بيداغوجية : يشمل الجانب البيداغوجي عدة جوانب نخص بالذكر منها: المادة التعليمية (بنيتها و طبيعة مفاهيمها) ، التلميذ (مستواه التعليمي عام و مكتسبات القبلية ... المنهاج (أهدافه و محتوياته) الكتاب (هيكلته و مقارنة بنائه ، محتوياته ، كيفية تقديم المفاهيم و توضيحها ، نشاطات التعلم و التمارين التقويمية). إن أي تغيير في المنهاج يؤدي بالضرورة إلى استبدال الكتاب أو الكتب المدرسية المرتبطة بها. يتأثر الجانب البيداغوجي أيضا بجملة من العوامل و بالتجديدات الذي تحدث في ميدان المعرفة و التربية و تكنولوجيا الإعلام و الإتصال في التربية (T. I. C. E). كما يمثل الجانب التكويني للمعلم و مدى قدرته على استعمال الكتاب المدرسي و استغلال موارده عاملا بيداغوجيا مهما . تشير المعالجة الميدانية إلى صعوبة و عجز شريحة كبيرة من المعلمين في هذا المجال و المرتبة عن عاملين أساسيين هما: عدم قدرتهم على قراءة المنهاج و الوثائق المرافقة له و عدم تحكمهم في التدريس بالمقارنة بالكفاءات المهيكلة بها المنهاج الحالية . و هما عاملان أساسيان لحسن استخدام الكتاب ، الأمر الذي يؤدي بالمعلمين إلى عدم تحكمهم في تعليمهم و وسائله و اعتبار محتويات الكتاب المدرسي كبرنامج و تقليص دوره في تبليغ المعارف على حساب وظائف أخرى تعليمية .

علمية : يقدم الكتاب المدرسي معرفة مدرسية تتلاءم مع مستوى الجمهور المستهدف وهذا من خلال معالجة تعليمية (traitement didactique) للمعارف المرجعية (savoirs de référence) (08) . ويمكن تعريف الكتاب المدرسي من هذا المنظور ، على أنه وثيقة رسمية لتنصيب معارف مرجعية (contextualisation de) و بالإرتباط مع ذلك ، و في مواد اللغة على الخصوص تطرح مسألة استعمال النصوص الأصيلة و النصوص الحرة .

اجتماعية - ثقافية : إذا كان الكتاب المدرسي يخضع لمجموع القيم الثقافية و الاجتماعية و التراث الثقافي للمجتمع و لنظامه الإيديولوجي و السياسي ، فإنه يعتبر بدوره أداة متميزة لتبليغها و تواصلها عبر الأجيال ، الشيء الذي يسمح بتوطيد الإلتزام الوطني و الإعتزاز به و التمسك بمقوماته... هذا الدور هو مغيب بشكل كبير في الكتب المدرسية الجزائرية ، حيث مآثر و انجازات علمائها و كتابها و في جميع مجالات المعرفة هي مذكورة إلا نادرا . يعتبر الكتاب المدرسي وسيلة تواصل اجتماعي ، فيتيح للأولياء فرصة العمل مع أبنائهم و الإهتمام به ، و متابعتهم دراسيا و دعمهم و مقاسمتهم القراءة... هذا ما يؤثر إيجابا على دافعية التلاميذ و يوطد الصلة الوجدانية بينهم و بين أوليائهم . و حسب سبيرنق (Spring , 1998) " يشكل الكتاب المدرسي معلما وجدانيا (repère affectif) يذهب بنا إلى طفولتنا و يشجعنا على مساعدة أبنائنا "

المادية و التقنية : يؤثر الكتاب المدرسي ببعده المادي (نوع الورق ، التجليد و نوع الغلاف ، المقاس ، الوزن ، الحجم) و ببعده التقني (شكل خارجي ، خط ، طباعة ، صور ، ألوان...) على ارتباط التلميذ به و تحفيزه على التعلم و حب المطالعة . تستدعي كثرة الكتب المدرسية للمستوى التعليمي الواحد بما يترتب عنها من انعكاسات سلبية على التلميذ صناعة كتب مدرسية أخف وزنا و أقل حجما و ييموادية ، بحيث يمكن أن يخدم الكتاب الواحد عدة مواد .

2. إشكالية الدراسة نتيجة التحولات و التطورات المختلفة التي تشهدها المجتمعات الحديثة من إجتماعية ، معرفية و تكنولوجيا و بيداغوجية ، تشهد مختلف المنظومات التربوية تحولات عميقة . و في هذا لإطار ، جاء الإصلاح الأخير

للمنظومة التربوية الجزائرية لسنة 2003 ، حيث شهدت الكتب المدرسية على غرار المناهج التعليمية تغييرات و تعديلات على صعيد التصور ،المضامين و الشكل .تعتمد كتب اللغة العربية الجديدة المقاربة بالكفاءات في بنائها. إلا انه و بالرغم من هذا التطور، فإنه و في مجتمعا و على غرار العديد من المجتمعات الأخرى تعاني من نقائص عديدة تمس مختلف جوانبها ، الأمر الذي يحول دون تأديته بفعالية للوظائف المنوطة به من وظائف تعليمية ، تعليمية ، هذا ما يجعل هذه النقائص تساهم إلى جانب عوامل أخرى في تزايد تفشي ظاهرتي تدني المستوى اللغوي و نقص المطالعة عند التلاميذ ، اللتين تسهمان بدورهما في تدهور مستواهم الدراسي العام . إن ظاهرة تدني المستوى اللغوي للمتمدرسين في مجتمعا على غرار العديد من المجتمعات ، هي ظاهرة تمس حتى المستويات العليا من التعليم.. في هذا الصدد يشير حسام الخطيب 1998 : 235 "إن الإنسان ليس في حاجة إلى رواكر تربوية و إحصاءات لكي يستنتج أن سوية تعلم اللغة العربية في انحدار مستمر ، و أن الجامعات و دور المعلمين في الأقطار العربية ، و مع ذلك تزداد نسبة الأمية اللغوية سنة بعد سنة عند هؤلاء " إن العوامل المسهمة في تدني المستوى اللغوي للمتمدرسين و تحصيل اللغة العربية خاصة عند التلاميذ عديدة و متفاعلة من عوامل محيطية و مدرسية . و من العوامل المدرسية يكتسي الكتاب المدرسي أهمية خاصة يستوجب تناوله بالدراسة. هي أهمية ما فتئت تزداد في ظل ظهور وسائط تكنولوجية منافسة له.و في هذا الإطار تسعى هذه الدراسة الإجابة على السؤالين التاليين : هل يتوافق كتاب اللغة العربية للسنة الثالثة متوسط و المقاربة بالكفاءات المعتمدة من طرف الوزارة في إطار الإصلاح الأخير للمنظومة التربوية الجزائرية (2003) ؟ و هل يتوفر هذا الكتاب على الخصائص الحديثة للكتب المدرسية ؟

3. أهمية الدراسة : تكتسي الدراسة أهميتها لسببين ، أولهما : تناولها بالدراسة للكتاب المدرسي باعتباره من أهم الوسائل التعليمية و ثانيهما : أن الكتاب المدرسي موضوع الدراسة هو كنموذج لكتب المستويات التعليمية لمدة اللغة العربية ، المادة الأساسية التي يتم بها تعلم بقية المواد الأخرى و اكتساب المعرفة في المنظومة التربوية الجزائرية. يعتبر الكتاب عامة و المدرسي خاصة من الوسائل الهامة لتحقيق ذلك.

4. المفاهيم الإجرائية :

الكتاب المدرسي : سند تعليمي موجه خصيصا للتلميذ .يتضمن مجموعة من النصوص متبوعة بـ: أسئلة حول الفهم ، مصطلحات لغوية ، قواعد نحوية و إملائية ، نشاطات تعليمية ، تمارين تقويمية.....

المناهج التعليمية : و وثيقة رسمية تصدرها وزارة التربية الوطنية تحدد فيها أهداف مادة التدريس و محتوياتها متبوعة من باب الإقتراح بنشاطات المتعلم ، طرق و وسائل التدريس و التقويم .

5. قراءة في الكتاب (09) .

1.5. تقديم الكتاب :

مما جاء في مقدمة الكتاب، أنه يعتمد المقاربة الشمولية ، التي تعنى بالكفاءات و المقاربة النصية منطلقا و أداة لتحقيق أهداف التعلم المختلفة . و قد جاء الكتاب عبارة عن بني تنظم في ثمانية مشاريع . يشتمل كل مشروع على ثلاث وحدات تعليمية . و عليه ، فإن عدد الوحدات التعليمية يبلغ أربعاً و عشرين وحدة ، و تتضمن كل وحدة نشاط القراءة متبوعا بدراسة معجمية و دلالية و فكرية و أدبية و لغوية متبوعة بتطبيقات ثم نشاط التعبير الشفوي ، فنشاط التعبير الكتابي . و عند نهاية كل ثلاث وحدات هناك وقفة تقويمية للتعلم ، حيث يقوم التلميذ بعملية دمج المعارف المتعلمة من خلال مجموعة من الوضعيات تطرح

مشكلات و معطيات و مطالب يقوم بتنفيذها. ثم يعتمد إلى عملية تقييم ذاتي ببناء شبكة للتقييم و محاولة الإحتكام إليها ليدرك مدى تمكنه من تحقيق المطلوب منه. أما عند نهاية كل ثلاثي فهناك وقفة لتقييم ما تم تحصيله أثناء المرحلة من خلال نشاط التقييم التحصيلي الذي يكون على شاكلة التقييم التكويني من حيث بنائه و منهجه. زيادة على هذا و بعد التقدم ، فإن الكتاب يحتوي على التوزيع السنوي للمحتوى المنظم في ثلاثة ثلاثيات . يتضمن كل ثلاثي عددا من نصوص القراءة . كل نص قراءة متبوع بظاهرة لغوية و نصا للمطالعة الموجهة و آخر للتعبير الكتابي . يتوج الثلاثي بعدد من المشاريع من إثنين إلى ثلاثة مما يعطي في المجموع ثمانية مشاريع مقترحة. كما جاء في المنهاج المعدل .

تستلزم قراءة الكتاب الرجوع إلى الوثيقة المرجعية و المتمثلة في المنهاج لمعرفة الكفاءات المصرح بها ، المحتويات النشاطات و كفايات التقويم المقترحة ، و ملمحي الدخول إلى هذا المستوى و الخروج منه .

أ. أهداف تدريس اللغة العربية في السنة الثالثة متوسط :

يعتبر الكتاب المدرسي إحدى الدعائم البيداغوجية التي يستعين بها المعلم في تدريسه و هذا إلى جانب المنهاج و الوثيقة المرفقة له و دليل الأستاذ . وكما جاء في المنهاج المعدل لسنة 2011 (10)، فإن " كتاب التلميذ في السنة الثالثة من التعليم المتوسط ، كتاب يشتمل على نشاطات التعلم، ويجسد الكفاءات، وأهداف التعلم المقررة في المنهاج، ويهدف إلى الأخذ بيد المتعلم عبر مراحل تعلمه. كما يسعى كتاب التلميذ من خلال النشاطات والمحتويات والتطبيقات اللغوية التي يقترحها إلى تنمية الكفاءات القاعدية التي ينص عليها المنهاج وإلى اكتساب المعارف والمواقف المرتبطة بتلك الكفاءات" كما يصرح أيضا " إنّ تدريس اللغة العربية في السنة الثالثة من التعليم المتوسط يكتسي طابعا خاصا، حيث أن المتعلم يكون قد بلغ أعتاب المراهقة ؛ والمراهقة، عادة ما تحدث تغيرات في سلوكه وفي عقله ووجدانه. واعتبارا لهذه المعطيات، فقد تم الحرص على أن يكون تدريس اللغة العربية مجالا يفتح أمام المتعلم آفاقا اجتماعية وثقافية وتربوية.. كما أنّ تدريس اللغة العربية بالنسبة إلى هذه السنة قد أكد على تفعيل بيداغوجيا المشروع، باعتبار أن المتعلم في مثل هذه السن يزداد شغفه بالإنتاج ويعجب أكثر بما ينجزه وهو يرى في كل ذلك شهادة على قدرته على الخلق والإبداع ؛ الأمر الذي يجعل الفعل التربوي يسهم في تنمية شخصية هذا المتعلم فكرا ووجدانا "

ب. ملمح الدخول : يكون المتعلم في بداية السنة الثالثة من التعليم المتوسط قادرا على قراءة نصوص متنوعة قراءة صحيحة سليمة بأداء معبر، مع إدراك ما تشتمل عليه من معطيات، مطالعة وثائق متنوعة، واستغلال المعلومات الواردة فيها ، فهم الخطاب اللامنطوق بمختلف أنواعه ، و الإسهام في المناقشة بتجنيد الموارد اللغوية المناسبة مع الالتزام بالحوار ، إنتاج نصوص تواصلية وتعبيرية يُسخر فيها مكتسباته المعرفية واللغوية باحترام قواعد اللغة ومعايير العرض.

ج. ملمح الخروج : في نهاية السنة الثالثة من التعليم المتوسط يكون المتعلم قادرا على قراءة و مطالعة نصوص متنوعة صحيحة مسترسلة، وإدراك ما تشتمل عليه من معطيات، وتمييز مختلف أنماط وأنواع كلّ منها و تحديد بعض خصائصها ، إصدار أحكام - شفويا وكتابة - وتأييدها بالأدلة والأمثلة ، التعبير عن وضعيات ذات دلالة بلغة سليمة ، كتابة نصوص نثرية متنوعة يغلب عليها الطابع الحجاجي بتوظيف المكتسبات القبلية ، إدراك خصائص الأسلوب الحجاجي في النصوص.

د. الكفاءات :

د.1.. لكفاءة الختامية : " أن يكون التلميذ قادرا على إنتاج نصوص حجاجية مشافهة أو كتابية "

تتفرع هذه الكفاءة إلى كفاءات قاعدية المتفرعة بدورها إلى أهداف تعليمية.

د.2. لكفاءات القاعدية : تخص الكفاءات مجالات القراءة ، التعبير الشفوي و التعبير الكتابي.

- القراءة : قراءة نصوص متنوعة وفهم ما تشتمل عليه من أفكار ومعطيات .

- التعبير الشفوي : يتناول الكلمة ويتدخل في المناقشة .

التعبير الكتابي : كتابة نصوص متنوعة بتجنيد عدد كبير من المفردات والعبارات مع احترام قواعد اللغة .

هـ. المحتويات : تتضمن مجموعة نصوص ، قواعد نحوية و إملائية ، نشاطات و تمارين تقويمية.

3. قراءة في الكتاب : الدراسة وصفية نقدية ، نقتصر فيها قراءتها للكتاب على الجوانب التالية : الأهداف ، هيكله وحدات الكتاب ، الإنجسام الداخلي للوحدات، نصوص الكتاب ، المشاريع و نشاط الإدماج و التقويم التكويني ..

1.3. الأهداف : صرح المنهاج أنه اعتمد المقاربة الشمولية التي تعنى بالكفاءات و المقاربة النصية منطلقا و أداة لتحقيق أهداف التعلم المختلفة. بداية و مما يلاحظ على كفاءتي ملمحي الدخول و الخروج ، أنهما من جهة جاءتا في عبارات عامة غير دقيقة. و أن ما تصرح به كفاءة الدخول التي هي في الحقيقة الكفاءة الختامية للسنة السابقة ، أي الثانية متوسط لا تمثل المكتسبات القبلية الضرورية لتحقيق الكفاءة الختامية للسنة الثالثة ، فالحلقة هي مفقودة بينهما. و فيما يخص الكفاءة الختامية التي تنص " أن يكون التلميذ قادرا على إنتاج نصوص حجاجية مشافهة أو كتابة . فهي تتناقض مع ملمح الخروج الذي و من بين ما ينص عليه "..... أن يكون التلميذ قادرا على التمييز بين مختلف أنماط و أنواع النصوص و تحديد بعض خصائصها ... " هذا من جهة ثم نتساءل كيف يمكن تخصيص سنة كاملة في دراسة النصوص الحجاجية من جهة أخرى . إنها تؤدي إلى الرتابة و الملل . ثم أنه و بالرجوع إلى الكفاءات القاعدية المصريح بها في المنهاج ، و مما يلاحظ أنها تتصف بالعموم غير دقيقة في عباراتها لا يمكنها من تجسيد الكفاءة الختامية ، هذا من جهة و عدم ارتباط كثير من الأهداف التعليمية بكفاءتها القاعدية و بالكفاءة الختامية من جهة أخرى و على سبيل المثال لا الحصر ، و فيما يخص الكفاءة القاعدية للقراءة فإن عددا من الأهداف التعليمية المدرجة تحتها لا تمت إليها بصلة و تنتمي إلى كفاءات قاعدية أخرى مثل " يعبر عن أفكاره بسهولة و يسر و بطريقة منطقية " و " ينتقي الألفاظ المناسبة أثناء الحديث و يستخدم ملامح وجهه و هيئته الجسمية " هي أهداف تعليمية تخص بالدرجة الأولى كفاءة التعبير الشفوي و ليس القراءة. إن الرواسط العضوية التي تجمع بين مستويات الأهداف ، من أعلاها إلى أدناها ، أي من الكفاءات إلى الأهداف التعليمية هي ضعيفة أو مبهمه في جزء منها و منعدمة في جزئها الآخر. هي عملية ليست بالسهلة تتم بتقنية اشتقاق الأهداف .

2.3. هيكله وحدات الكتاب: جاءت وحدات الكتاب منمطة ، أي منظمة بنفس الكيفية : نص متبوع و بالتسلسل ب: المعجم و الدلالة ، فهم للنص ، تعبير كتابي. و أخيرا تطبيقات هي في أغلب الحالات عبارة عن أسئلة . تفتقد إلى التنوع. إن تنوع التمارين من شأنه تدريب التلاميذ على التعامل مع وضعيات مختلفة التي تسمح بتجسيد الكفاءة أو الكفاءات المحددة .

3.3. الإنجسام الداخلي للمشاريع و الوحدات: ينظر المنهاج إلى بيداغوجيا المشروع من حيث هي رافد من روافد دعم الكفاءة الختامية و الكفاءات القاعدية، ذلك لأن المشروع هو عبارة عن جملة من المهام يؤديها المتعلم لتفعيل مكتسباته وترسيخها وتجنيدها

مهاراته في مواجهة وضعيات - مشكلة. وعلى العموم ، يمكن القول ، بأن المشروع البيداغوجي يعبئ في المتعلم القدرات مثل : البحث عن المعلومات، اختيار التوثيق المناسب، الانجاز والمراقبة و النقد ، التنظيم و التخطيط، التواصل مع الآخرين وحسن التصرف ".....و مهما يكن من أمر، فإن المشروع ينبغي أن يهدف إلى التحكم في كفاءة قاعدية أو أكثر من المنهاج " (من المنهاج) . إلا أنه و ما يلاحظ على بعض من موارد المشاريع :

أ - النصوص : عدم الإنسجام بين نوعية سواء نصوص القراءة أو المطالعة الموجهة باستثناء البعض منها و بين موزع وعات المشاريع . و على سبيل المثال ، فإن المشروع الأول و الذي موضوعه تكوين بطاقة ، فإنه من بين نصوص القراءة الثلاثة التابعة له لا نجد إلا نص "المكتبات بين الماضي و الحاضر " الذي يرتبط بالمشروع و يخدمه . و هذا خلافا لنصي "حجاج بين الملك النمرود و النبي إبراهيم عليه السلام " و " فضل الدعوة المحمدية على البشرية " . و من جهتها ، فإن نصوص المطالعة الثلاثة لا ترتبط كلية بالمشروع.

ب : القواعد اللغوية : إن مواضيع قواعد اللغة (الظواهر اللغوية) الثلاثة : مواضيع تقدم المبتدئ على الخبر ، محيى المبتدئ نكرة و مواضيع حذف المبتدئ و التابعة للمشروع الأول المعنون " تكوين بطاقة " هي مواضيع لا تخدم المشروع من قريب أو من بعيد و ليس لها صلة به ؟ و هو أمر ينطبق على أغلب بقية المشاريع . و بهذا ، فإن مواضيع الظواهر اللغوية هي منظمة بشكل خطي تقليدي . يحتاج المشروع إلى موارد لغوية معينة ، من مصطلحات أساليب لغوية ، قواعد اللغة دون سواها و الكفيلة بتجسيد المشروع .

ج : الوحدات التعليمية : يتضمن كل مشروع ثلاث وحدات . و ما يلاحظ على كثير من الوحدات عدم ارتباط مكوناتها سواء فيما بينها ، أي بين كل من نصوص القراءة و نصوص المطالعة الموجهة ، قواعد التعبير الكتابي و التطبيقات . أو فيما بين كل واحدة منها ، أي الوحدات و بين موضوع المشروع .

هذه الاختلالات و غيرها لا تسمح بتجسيد المشاريع .

4.3. نصوص الكتاب : مما يلاحظ على النصوص :

- إن غالبية طبيعة نصوص الكتاب للقراءة (24 نص) ، لا تتماشى مع الكفاءة الختامية ، حيث لا توجد من بينها إلا ثلاثة نصوص حجاجية . فبهذا لا يمكن أن يكون النص الحجاجي هو المسعى الوحيد المصرح به في الكفاءة الختامية.

- إن غالبية النصوص أدبية إن لم نقل كلها ، و أن بعض المشاريع مثل : تكوين بطاقة ، إنجاز دليل سياحي ، إنجاز لوحة إخبارية تحتاج إلى نصوص علمية تمكن التلاميذ من المصطلحات التقنية الضرورية للمشروع . و حتى النصوص التي توحى عناوينها بطابعها العلمي ، مثل نصوص : لويس باستور . تقنية جديدة لرصد حركات الإنسان، موج الفضاء... فإن محتويات نصوصها أدبية محضة . فهي فقيرة و شحيحة من حيث المصطلحات العلمية . في هذا المستوى التعليمي ، التلاميذ في حاجة إلى نصوص علمية لتسهيل تعلمات المواد العلمية و تسجيل عملية التحويل (Transfert) (11) ما بين المواد .

- إن عددا من النصوص هي غير أصلية سواء مأخوذة من الأنترنت أو من مجلات غير مذكور كتابها. و من هذه النصوص نذكر على سبيل المثال لا الحصر ، المكتبات بين الماضي والحاضر (المطالعة و النصوص الأدبية، المملكة العربية الأردنية ،دون ذكر الكاتب) ، الطاقة الجديدة (عن الأنترنت) ، ضعف الصناعة العربية (ميشال مرقص ، من الأنترنت) ، الخيال العلمي (طارق عبد الله ، بتصرف من الأنترنت) ، إن مثل هذه النصوص غير الأصلية لا تمكن من اكساب التلاميذ لغة راقية و ثرية و نتساءل كيف تقوم لجنة وطنية لتأليف الكتاب المدرسي إدراج نصوص في الكتاب مأخوذة من الأنترنت و غير معروفة المصدر ؟ و أنه و في نفس الوقت نعاتب تلامذتنا و طلابنا باللجوء إلى استنساخ أعمال و بحوث من الأنترنت و عدم اللجوء إلى المجلات و المراجع الموثوق بها . يعتبر هذا من أهم نقائص هذا الكتاب . و فيما يخص النصوص المذكور كتابها، كان من الأجدر إلحاق تعريف مقتضب بكل واحد من الكتاب لإثراء ثقافة الطفل الأدبية. البعض من أسماء الكتاب غير معروفة تماما .

- لا شك أن الكتاب المدرسي و زيادة على أهدافها اللغوية المحضة ، يعتبر وسيلة هامة لإثراء ثقافة التلاميذ عامة و الثقافة الوطنية خاصة بكل أبعادها و بالتعريف بمفكرها و علمائها و أدبائها و كتابها .. و فيما يخص الثقافة الوطنية هي شبه مغيبة ، الأمر الذي لا يسمح بتنمية عند التلاميذ الإلتواء إلى الوطن و الإعتراف به. فمن بين نصوص القراءة و نصوص المطالعة الموجهة على لا يوجد إلا نصا واحدا لكل واحد منهما من تأليف كاتب جزائري . و هو بالنسبة للقراءة نص المعنون " تحية و إشادة " للعلامة عبد الحميد بن باديس و بتصرف الصفحة 100 و نص المطالعة الموجهة " ماسينيسا ، من تأليف مبارك الميلي ، الصفحة 44 . مما يعطينا نصين من بين ثنائي و أربعين نصا و هو عدد هزيل و لا معنى له و هو ما يعبر عن إحجاف في حق للثقافة الوطنية .

5.3. شاطئ الإدماج و التقويم التكويني : فيما يخص هذا النشاط ، يلاحظ أنها تأخذ عامة نفس المنوال بتقدم وضعيتين التلاميذ متمثلتين في تحرير نصوص أو تلخيص قصة مقروءة بجملة من الضوابط متبوعة بتقييم ذاتي بواسطة شبكة تقويم . تتصف الشبكة بعدم الدقة و العموم ليس بمقدور التلميذ في هذا المستوى التعليمي الإجابة عليها بموضوعية ، لأنه لا يملك المحكات الضرورية و لم يتدرب عليها. أما فيما يخص التمارين المقترحة و على سبيل المثال و في الوحدة التعليمية الرابعة من المشروع الرابع المتعلق بتأليف قصة ، حيث يطلب منه قراءة قصة بوليسية . فكيف يمكن لهذا التلميذ تلخيص قصة بوليسية إن لم توفر له و يقرأها . الحصول على مثل هذا النصوص ليس في متناول كل التلاميذ .

4. الخلاصة : رغم التحسن التي شهدتها كتاب اللغة العربية هذا مقارنة بكتاب ما قبل إصلاح (2003) و هذا على غرار كتب اللغة العربية و كتب المواد الأخرى على مستويات ، التصور ، المحتويات و الشكل . إلا أنه و بالنظر إلى الاختلالات و النقائص الملاحظة على هذا الكتاب كنموذج لكتب اللغة العربية لباقي المستويات التعليمية ، فإنه يمكن القول أنه ، و بخلاف التصريحات المعلنة في المنهاج لم يعتمد في بنائه المقاربة بالكفاءات . تؤكد مجموع الاختلالات المسجلة ، أن النظام التربوي ما زال يعتمد أساسا على المقاربة بالمحتوى ، النموذج التقليدي المنظم بالمحاور و مختلف الموارد. الكفاءات المراد إقامتها لدى التلاميذ هي في أغلبها أهداف تعليمية ذات طابع مدرسي محض لا تتطابق و متطلبات المقاربة بالكفاءات. إلا انه يجب الإعراف أن اعتماد هذه المقاربة ليس بالأمر الهين . فمفهوم الكفاءة في حد ذاته مفهوم معقد عمليا. تؤكد المعاينة الميدانية صعوبة تحكم المعلمين في التدريس بهذه المقاربة و صعوبة تحقيق الإدماج حتى داخل المادة الواحدة المكونة من وحدات مختلفة لإنجاز كفاءة مدججة محددة مثل كفاءة المحاور في اللغة العربية التي تستدعي إدماج موارد مختلفة ، من النحو ، الصرف ، القراءة ، التعبير الشفوي و الأساليب ...

يتحتم اليوم على المدرسة التي أنيطت بوظائف جديدة بفعل التطورات المختلفة التي تشهدها المجتمعات الحديثة من تطوير أساليب تسييرها وعملها و مختلف وسائلها . و يعتبر الكتاب المدرسي كأحد أهم هذه الوسائل ، و هذا لما يقوم به من وظائف تربوية و بيداغوجية و تواصلية . التحديات المستقبلية التي ستواجهه هي كبيرة ، خاصة مع تطور مختلف وسائل التعليم و ظهور الوسائط الإلكترونية ، الأمر الذي يتطلب بالإضافة إلى تطويره و تكييفه باستمرار إلى تكوين المعلمين و تزويدهم بالأدوات و التقنيات الضرورية الكفيلة بتمكينهم من حسن استعمال الكتاب المدرسي و استغلال موارده تفعيلا لأدائهم التعليمي .

الهوامش :

(01) المنهاج (curriculum) : هو أشمل من البرنامج (programme) ، إذ يتضمن الأهداف ، المحتويات ، الطرق و الوسائل و التقويم . بينما البرنامج : يتضمن قائمة من المحتويات

(02)الكفاءة (compétence): تنجلى الكفاءة في تجنيد مجموعة مدمجة من الموارد لحل وضعية – مشكل تابعة لعائلة من الوضعيات. Boterf ,1994 ; Rey 1996 ; Perrenoud , 1997 ; Roegiers , 2000 ; Jonnaert ,2002

(03) : تتمثل الوضعية – المشكل (situation-problème) في مهمة جديدة غير مألوفة، متضمنة لعدد من الخصائص المشتركة مع وضعيات أخرى من نفس العائلة . تقترح هذه المهمة على التلاميذ دون أن يكون لأي أحد منهم جوابا جاهزا أو مطابقا (ajustable) وتستدعي معالجتها ممارسة قدرات مشتركة بين المواد يمكن أن تستلزم تجنيد شبكات مختلفة من المعارف .

(04) تشير الفكرة إلى مصطلح (intradisciplinaire) الذي يعني التنسيق العمودي ، أي التنسيق بين وحدات المادة الواحدة . و يقابله مصطلح (transdisciplinarité) الذي يعني التنسيق الأفقي ، أي التنسيق بين المواد المختلفة لتحقيق كفاءة أفقية مدمجة .

(05) : *François – Marie Gérard et Xavier Rogiers , les manuels scolaires au service d'une pédagogie de l'integration . Exemple d'un manuel d'veil aux sciences sociales .(année non indiquée) , p 03*

(06) : لوفريدج ، 1970 : ، في كريمة مرزوقي و حبيب تلوين ، الأدوار الاجتماعية و المهنية في الكتاب المدرسي ، سلسلة دراسات تربوية ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، وهران ، 2007 ، ص 7

(07) : *Frangione Raphael , Le choix du manuel scolaire , une procedure de responsabilité éducative*

(08) : تتكون المعارف المرجعية للمعرفة المدرسية من المعارف العالمية (savoirs savants) و الممارسات الاجتماعية. تهتم المعالجة التعليمية بالتعديلات المرغوب فيها للمعرفة المرجعية بغرض جعلها موضوعا للتعليم.

(09) الكتاب مصادق عليه من طرف لجنة الإعتماد و المصادقة للمعهد الوطني للبحث في التربية ، وزارة التربية الوطنية بتاريخ 14 / 03 / 2005 .

(10):منهاج اللغة العربية للسنة الثانية متوسط ، وزارة التربية الوطنية 2011

(11) :التحويل (Transfert) : تعني أن تعمل كافة المواد الدراسية في تناسق لتجسيد أهداف مشتركة متمثلة أساسا في قدرات .